

مَسَائِدُ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

« ألف أصلها »

« الامام محيي السنة ، ومجدد شبابها في جزيرة العرب »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« وتوسع فيها على هذا الوضع »

« علامة العراق »

السيد محمود شكري الدلوسي

القاهرة

١٣٤٧

عُنِيَتْ بِنَشْرِ

الْمَطْبَعَةُ السَّيَافِيَّةُ - وَمَكْتَبَتُهَا
تصاحبتا : مع لجنة طب وعلوم فقهية



الى ذي النورين

سيِّد صاحب الدعوة الى التوحيد محمد بن عبد الوهاب

وحفيده مؤيديها وناشريها آل سعود الكرام

﴿صاحب السمو الملكي الأمير فيصل﴾

ابن صاحب الجلالة ملك العرب ، وباسط جنحي الأمن والعدل

في اخرين الشريفين

﴿الامام عبد العزيز آل سعود﴾

أهدي هذا الكتاب

عبد بن حبيب

كان أهلُ التقوى والدين ، فأبدتِ المجوسيةُ نواجزَها ، ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظَلَّتْ على ذلك الى زمن أمير المؤمنين المعتصم ، فأخذ دقة السفينة من أيدي الفُرسُ وأسلمها الى أيدي غلمانهِ من الترك ، فنهض من شرٍّ واحد ووقع في شرَّين : لان للفرس سابقة وحضارة ليس لهؤلاء مثلها . وفي هذه الحادثة يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« خليفة عباسي أراد ان يصنع نفسه وخلفه ، وبنس ماصنع بأمته ودينه . اكثر من ذلك اجند الاجني ، وقام عليه الرؤساء منه . فلم تكن الا عشية او صباحا حتى تغلب رؤساء الجند على الخلاء ، واستبدوا بالسلطان دومهم ، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك الغنى الذي راضه الاسلام ، والقلب الذي هذب الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجبل ، يحملون التوبة الظلم ، ليسوا لاسلام على انفسهم ، ولم ينفذ شيء منه الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إله معه يعبده في خلوته ويصلي مع اجتماعات لفكرين سلطنته ... »

منذ تلك الازمان وجزيرة العرب مُهملة : لا تُعِينها الدولة ولا تَسْتَعِين بها . وكانت نتيجة ذلك أن « الجاهلية » عادت الى جزيرة العرب واستقرت فيها قروناً طويلة

ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجلٌ عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضوماً فيهم ، وأعني به الرجل المصلح ، داعي العرب والمسلمين المرجوع الى فطرة الاسلام الاولى ، شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب . هذا الرجل

نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء :
 العصية الجاهلية كاتي نهى عنها هادي البشر ﷺ محمد ﷺ ، ودُعاه غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته ،
 والاحتيال بمختلف الاسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي
 كان قبل معته ﷺ . ثم التقاطع ، التفرق ، التواهي بالباطل
 دون الحق ، الاعتداء على حق الغير ، العطالة ، الكسل ،
 الخرافات والأوهام ، الضغينة ، الفوضى ، القذارة ، المسكر ،
 الخداع ، عدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده .
 هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه
 وفي بلاده ، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الانسانية
 من هذه الشوائب ، فقال في نفسه :

— إذن نحن في مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية !

حينئذ عاهد ربّه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض
 وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله
 قلتُ انه كان رجلاً عظيماً ، لانه ثبت في جهاده الى أن
 أتى ربه ، فحول الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته
 من أخلاق الجاهلية وأطوارها الى أمةٍ تقيم الصلاة ساعة الدعوة
 اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها مأيشاهده
 في مصر والشام والعراق من فضائح ، ويحجّون بقلوب لا متّسع

فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كَفَنُهُ يحمله مع سلاحه
إذا ناداه الامام للجهاد

ان تحويل هذه الامة مما كانت عليه الى ما صارت اليه
ليس من الامور الهينة ، وأنا كلما تصوّرتُ في ذهني عَظَمَةَ
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل في نظري كثير من
الشخصيات التي انا مُعجَبٌ بها ، فانظر اليه بعين الاكابر
والاجلال

نعم ، ان في نجدٍ جوداً وشدةً ، لكنها ناشتان عن عزّة
النجديين في بلاد مُنزوية عن ممرّ الامم ، وأنا على يقين بأن
اتصال نجد بالحجاز ، وانصال النجديين والحجازيين بحجّاج
الاقطار ، وازدياد عدد الحجيج باستتباب الامن ورسوخه ،
سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الاسلامي جميعاً



وبعدُ فان هذه الرسالة احدى نظرات محمد بن عبد الوهاب
الى المرض العام الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين
بأعراضه . والظاهر أنه جعلها رءوس أقلام ليتوسّع فيها يوماً ما ،
فلم يتمسّر ذلك له . وقد طُبعت في الهند على اختصارها الذي
جعلها بمقام فهرس للمسائل الماثلة التي خالف فيها رسولُ

الله ﷻ أهل الجاهلية من الاميين والكتابين . ولما رأى علامة العراق السيد محمود شكرى اللوسى (رحمه الله) اختصارها ، وأدرك أنها ليست تأليفاً ولكنها مذكّرة لتأليف عمده الى شرحها . ولا أعني شرح ألفاظها بل شرح معانيها ، أي أنه أتم العمل الذي كان يريد المصلح النجدي العظيم أن يتمه

ولما كان كتاب السيد محمود شكرى اللوسى لا يزال مخطوطاً وبخشي أن يحتاجه الجوائح ، فقد رأى صديقي أديب العراق السيد محمد رجب الأثرى - وهو خير من أنجيهم العلامة الألومى - أن يجعل هذا الكتاب هديّة الى عند زيارته القاهرة في شهر صفر سنة ١٣٤٧ ، ورأيت من قدر هذه الهدية عندي أن أبادر الى طبعها ووضعها بين أيدي الناس تعميماً لفائدتها ، وأن أجعلها هدية المكتبة السلفية الى سيد شباب هذه الدعوة الامير فيصل المعمود لانه كما ورث محامتها بآبائه ورث صاحب الدعوة نفسه من ظرف أمة ، فلم أجد أحداً أولى بها منه . والله ولي التوفيق

الطبعة : ٢٠٠٠ ربيع الاول ١٤٢١

محب الدّين الطّيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا الصراط
المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى
آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري
الأوسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أي قد وقفت
على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة
من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من
الاميين والكتابين ، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من
سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنة ،
ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب
التجدي الحنبلي بعمده الله تعالى برحمته . قرأيتها في غاية الإيجاز ،
بل كادت تعد من قبيل الالغاز . قد عبر عن كثير منها بعبارة
مبجلة ، وآتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة . حتى إن
من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب ، قد عدت فيه المسائل من

غير فضول ولا أبواب ، ولا شتمها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحبيت أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل . مقتصرأ فيه على أوضح الأقوال ومبينأ ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهدي به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للأثواب ، والفوز يوم العرض والحساب ، والأمان من أليم العذاب ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المصنف رحمه الله تعالى عليه :

هذه مسائل خافت فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنة الضد ، وبضدها تتميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدّه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن انضاف الى ذلك استحسان دين الجاهلية والايان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : أنهم يتعبدون بأشراك الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم أنهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فأعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زُلْفَى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فاتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولاجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولاجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وتقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرق ﴾

﴿ الثانية ﴾ : أنهم متفرون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة إلى أن ألف سبحانه بينهم بالإسلام فزال الاحتقاد قاله ابن اسحاق وكن يوم بعث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فصل ذلك في الكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا » إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الناصحة على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الاتقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة وني الأمر ﴾

﴿ الثالثة ﴾ : أن مخالفة وني الأمر وعدم الاتقياد له عندهم فضيلة وبعضهم يجعله ديناً . فحالفهم النبي ﷺ في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه عليه السلام « يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منسطينا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفرأ بواحاً عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية

﴿التقليد﴾

﴿الرابعة﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف » وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير
 إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ،
 قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم
 به كافرون ، فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف » اتبعوا
 ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون »
 وقت تعالى » واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا
 عليه آباءنا أول لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » الى
 غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربة التقليد
 لا يحكمون لهم ريباً ولا يشغنون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة
 وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ لا اقتداء بالعلم الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم
 فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله » يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً
 من الأتباع والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن
 سبيل الله » وقال تعالى » قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
 الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا
 عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطان الاقتداء بالفاسق
 وأهل الضلالة والغي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدلائل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما يا موسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مقترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غيره أفلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ان هو الا رجل به جنة قتر بصوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آهتكم ان هذا

شيء. يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق »
 فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
 انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم . فانظر الى سوء مداركهم
 وجود قرانهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون
 بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا
 أخلاقهم ووزانهم قد تشابهت قلوبهم

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد
 الأعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فأنزل الله تعالى
 ضد ذلك وما يبطله فقال في الانعام : « وان تطع أكثر من في
 الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم
 الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالممتدين »
 قال الكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان
 له بصيرة وقلب فالخلق أحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال
 تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من
 الخلطاء ليغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة
 لا تنضم لهم

نُعبرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلٌ^(١)
 فالقصد ان من له بصيرة ينظر الى الدليل ويأخذ ما يستنتجه
 البرهان وان قل العارفون به المنقادون له ومن أخذ ما عليه الأكثر
 وما ألقته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية
 مقدوح عند أهل البصائر

﴿ الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً ﴾

﴿ الثامنة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فردَّ
 الله تعالى ذلك بقوله في هود « فلولاً كان من القرون من قبلكم
 أولو بقية يهتدون عن الفساد في الأرض الا قليلاً ممن أنجينا منهم
 واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين » ومعنى الآية
 « فلولاً كان » تحضيض فيه معنى التفرع ، أي فهلا كان « من
 القرون » أي الأقوام المتعربة في زمان واحد « من قبلكم أولو بقية »
 أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون
 البقية اسماً للفضل والهناء^(٢) لنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم
 أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبائيا وفي الرجال بقايا ،
 « يهتدون عن الفساد في الأرض » الواقع فيما بينهم حسداً ذكر في
 قصصهم ، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي ، « الا
 قليلاً ممن أنجينا منهم » استثناء منقطع أي واسكن قليلاً منهم أنجينا

(١) لسؤال (٢) أي هام الثاني في « بقية »

لكونهم كانوا ينهون

﴿ انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم

أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك ينفعهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقْبِلاً أودينهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجبتم به ربيع فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . » ولقد مكناهم فيما أن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء . إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « ولقد مكناهم » أي قوينا عاداً وأقدرناهم .

و« ما » في قوله تعالى فيما أن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و« أن » نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي . انصرفات كما في قوله تعالى « ألم يَرَوْا كما أنكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن لهم » ولم يكن النفي بالمعنى « ما » كراهة لتكرير اللفظ وإن اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » يستعملونها فيما خفقت له ويعرفوا

لكل منها ما نيط به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على شئون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى عنهم نعمهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواظب الرسل ، « ولا أبصارهم » حيث لم يجتنبوا بها الآيات التكوينية للرسمية في صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى « من شيء » أي شيئاً من الأشياء ومن مزيدة للتوكيد وقوله « إذ كانوا يمجّدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون » من العذاب الذي كانوا يستعملونه بطريق الاستهزاء ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك ينفعهم من الضلال . ألا ترى أن قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال والابدان والادراك وسعة الأذهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الاسلام ومع ذلك ضلّوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل بالباطيل فالتوفيق للإيمان بالله ورسله والاذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى لا لكثرة مال ولا حسن حال ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالاً منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدلائل فقد سلك سبيل الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد ﷺ أن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي الموعود رساله حتى ننصر على الاعداء فلما جاءهم ما عرفوا وهو محمد ﷺ كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم يزعمهم أحسن أثاثاً ورثياً ولم يعلموا أن النبوة والايمان بها فضل من الله يؤتیه من يشاء . ومنها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » الضمير في قوله يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك أذا لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم جريهم على مقتضى علمهم بما فيهم من الجاهلية والاعتقاد ان فضل الله مقصور عليهم لا يعمدهم الى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لأتذكركم به ومن بلغ أأنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله واحد واتى بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»

﴿ اتخذ داع أهل التروة بثروتهم ﴾

﴿ العاشرة ﴾ : الاستدلال بعماء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسهون في آياتنا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك ننذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلناك

الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا اانا بكل كافرين . قل فأنوابكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وفي آية أخرى في سورة القصص يقول الله سبحانه « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه فتنوا باهضة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ نقساد في الارض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أؤيته على عيم عندي » ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » الى آخر الآية فقد كفانا الله تعالى ابطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية الأولى « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الاخرى بقوله « أولم يعلم ان الله » الخ فعلنا من ذلك ان محبة الله ورضاء الله لما تكون بطاعته والالتقياد برسوله والاذعان للحق باتباع البرهان . ولم كثرة ما وسعة الرزق وعيش الرضا فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوثهم مُسْقَفاً من فضة ومارج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل ^(١) :
 كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً ^(٢)
 ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
 فان المال يفتى عن قريب وان العلم باقٍ لا يزال
 والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من
 كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله
 عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة
 أن يعول عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لنضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ
 الضعفاء به وضعف فهم من أخذ به على ما يدل عليه قول قوم نوح له
 كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى في سورة الشعراء « كذبت
 قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم

(١) هو أبو الحسن محمد بن يحيى المشهور بابن الروادي المتوفى

(٢) وبهذه : هذا الذي ترك أولاده حائرة وعينهم الدمع المنير زاهية

رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن اجري إلا على رب العالمين : فاتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأراذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . إن أنا إلا نذير مبين »
 فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع الضعفاء له وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا والآل لو كانت الآخرة همهم لاتبعوا الحق أينما وجدوه ولكن لجاهليتهم أعرضوا عن الحق لاتباع شبهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلاً على الحق فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم اتبعوا الرسل . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود : ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يومئذ . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشراً مثلاً وماترك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل ننظكم كاذبين » الآيات

﴿ ودم أنصار الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق بعدم الاخلاص وطب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح في الآية الاولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأرذلون . قال وما علي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقرا آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدليل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبر عن نصره الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية . الاعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة الانعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاركين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كإزعم خصوصهم وليست أنت بمسئول عنهم ولا هم بمسئولين عن حسابك ، فطردهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿استدلّاهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً﴾
 ﴿الرابعة عشرة﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم
 أولى به لو كان حقاً . قال تعالى في سورة الاحقاف « وقال الذين
 كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به
 فسيقولون هذا فلك قديم » بعد قوله « قل أرايتم ان كان من عند
 الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن
 واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

﴿جهلهم بالجامع والفارق﴾

﴿الخامسة عشرة﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار
 القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى في سورة
 المؤمنين « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد ان يفضل عليكم ولو شاء الله لأ نزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
 آياتنا الاولين . ان هو الا رجل به حجة قتبصوا به حتى حين »
 وقبل الآية « ولقد رُسنا نوحاً الى قومه » شروع في بيان افعال
 الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عند سبحانه وتعالى من النعم
 قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفي ذلك تخويف لقريش :
 وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه .
 فقال متعطفاً عليهم ومستميلاً لهم الى الحق « يا قوم اعبدوا الله أي

اعبدوه وحده «مالك من إله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة
 المأمور بها «أفلا تتقون» الهمة لأنكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى
 «ما لكم من إله غيره» فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه
 ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده وإشراككم به عز وجل
 في العبادة مالا يستحق الوجود - لولا إيجاد الله إياه - فضلا عن
 استحقاق العبادة، فالمشكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه «فقال الملأ»
 أي الأشراف «الذين كفروا من قومه» وصف الملأ بالكفر مع
 إشراك الكل فيه لا يذنب بكامل عراقتهم وشدة شكيبتهم فيه
 وليس المراد من ذلك الإذمهم دون التميز عن أشراف آخرين
 آمنوا به عليه السلام أولم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه
 قوله «ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا» وهذا القول صدر
 منهم لعوامهم «ما هذا إلا بشر مثلكم» أي في الجنس والوصف من
 غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع
 رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى
 «يريد أن يفضل عليكم» اغضاباً للمخاضين عليه عليه السلام واغراء
 بهم على معاداته . والله فضل طب الفضل وهو كناية عن السيادة كونه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بأدعاء الرسالة مع كونه مثلكم .
 «ولو شاء الله لانزل ملائكة» يبان لعدم رسالة البشر على الإطلاق
 على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشرية عليه السلام أي ولو شاء الله
 تعالى إرسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لأنزل
 لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا
 في آياتنا الاولى» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة
 الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا
 بهذا الكلام في آياتنا الماضية قبل بعثته عليه السلام . وقدر
 المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان
 السماع يشبه كن في القيول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا
 رجل به جنون أو جن يخلونه ولذلك يقول ما يقول «فتربصوا به
 حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه
 محمول على مراعي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
 وصفوه عليه السلام به من البشرية وارادة التفضل اليه وصفه بما
 ترى وهم يعرفون انه عليه السلام أرجح الناس عقلا ورزنها قولاً
 وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله تعالى أي
 يؤفكون . وقيم الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في
 كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابة من

جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل إنما أنا بشر مثلكم ». وبين الرسل والأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسائله وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاقد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ اتعلو في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : اتعلو في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يحللون ويحرمون ويتصرفون

في الكون ويتنادون في دفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتائبيين ، ثم سرى الى غيرهم من جاهلية العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق الارض ومقاربهما تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث . حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تائبين في أودية الضلال معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين والاسلاء في بلاء مبين . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
 قل تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده برؤس وآيت عيسى بن مريم آيات وأيدناه بروح القدس أفكركم جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غلفت بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون » وفي سورة النساء « فلما نقضهم ميثقهم وكفرهم بآيات الله وقتهم لا نبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلفت بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا » . الغف جمع غلّف كاحمر وحمر وهو الذي لا يفتقه . وأصله ذو القلعة الذي لم يخفن أو جمع غلاف ويجمع على غف بضمهين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغشاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ما جئت به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا في أكنة مما يدعوننا اليه . قصدوا به اقنطار النبي ﷺ عن الاجابة وقطع طمعه عنهم بالكلية . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة كذلك . وعلى الثاني أنها أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدي : أو مملوءة علماً فلا تسم بعد شيئاً فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال : أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الامي . ولا يخفى بعده . وقال تعالى في سورة هود « ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصببكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم يبعد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه إن ربي رحيم ودود . قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزیز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى . وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن السبب في عدم الفهم انما هو الطبع على القلوب بكفرهم لا التقصور في انبياء والتفهيم . وما أحسن قول القائل (١) :

والنجم تستصغرُ الابصار صورته
والذنب لطرف لا للنجم في الصغر

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا قلوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين ». ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير أنكم بما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم وأما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام. وذكروا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، ولأنهم تأولوا الأمر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الإيمان بما أنزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها « مصدقاً لما معهم » لأن كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالصدق لازم لا ينتقل وقد قررت مضمون الخبر لانها كلاستدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم : نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمر فاني عليه السلام أن يقول ذلك تبكيكاً لهم حيث قتلوا الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة وهي لا تسوغه

﴿ التمسك بخرافات السحر ﴾

﴿ التاسعة عشرة ﴾ : من خصلهم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ماتتوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعبدون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب الى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في الزيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا وبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألغاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لاتصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وفي مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينتسبون الى ابراهيم عليه السلام وإلى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب في غيره .

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلاه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم تراء يصرف النصوص ويأوّهها الى ما يشتهي من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون » ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاعبوا به من الاحكام وحرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما يتألونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لا ساحل له . وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور ، وقد بين حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ اثنا عشر ﴾ : وهي من أعجب المسائل واخصان معاداة الدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكل الموالاته ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : انهم لما افترقوا وكل طائفة لا تقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء »

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ، وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة
فما كانوا فيه يختلفون ، ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها
اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما أرباب المذاهب
يرى كل أهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب
بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلابيلى وليلى لا تقر لهم بذا
والحزيم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق
اخرى ان يتلقى بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء
الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته
هو دعاء كى حائفة حصر الحق فيها ﴿

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله عظمته في
حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى
عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » مع
أن النبي ﷺ يتن في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية
فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال. ورد الله تعالى
عليهم بقوله « وقالوا ان يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، يلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون » والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس بقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه حيث استدلل به الرافضي على حقية مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة ، فراجع ان اردته

﴿ أنكر ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : انهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتمبدوا بالنكراه والبرادة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذ جئنا لبيت مثاة لنامس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » الى أن قال « ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لك الدين فلا تموتن الا وأنت مسلمون »

يقال ان سبب نزول قوله « ومن يرغب » الخ ما روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقل : قد علمنا ان الله تعالى قال في التوراة « اتي باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد فن آمن به فقد اعتسى وشد » ومن لم يؤمن به

فهو ملعون ، فأسلم سلمة وأبو مهاجر فقتلت . انتهى
 ﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال تعالى في سورة الاعراف : واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون ، قال بعض المفسرين : الفاحشة هنا الفعل القبيحة المتناهية في القبح ، والثاء اما لأنها مجرأة على الموصوف انوثت أي فعلة فاحشة ، ولما للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة في أطراف ونحو ذلك . وعن نفر ، تخصيصها بكشف العورة وفي الآية حذف أي : واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والاقتراء على الله . وكان من سنة الخمس انهم لا يخرجون أيام الموسم الى عرقت ، انما يقفون بالزدلفة . وكانوا لا يسلاون ولا يأقظون ولا يرتبطون عنزاً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولا يدخلون بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتنون بالقياب الحرم في الاشهر الحرم ، ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الخل اذا دخلوا الحرم وان يتركوا ثياب الخل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها والاطافوا بالبيت
عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت
تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير . قالت امرأة^(١) وهي
تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحلّه
أختم مثل القعب بادر ظله كأن حُجِّي خير تملّه

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من
عرفة إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن
به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم
عليه السلام وما ذلك إلا جاهليتهم

وغالب من ينتمي إلى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم
يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة
يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على
القبور والسفر إليها والنذور أخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم
من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد
وطريق العباد ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية والغور بهذه
الدنيا الدنية ، إلى غير ذلك مما يطول ولا يعنى ماذا يقول

إلى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة

﴿ التعبد بتحريم الحلال ﴾

﴿ الثامنة والعشرون ﴾ : التعبد بتحريم الحلال فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المترفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي ثلثين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربّي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبغى والبغي الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » ومعنى الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، أي ثيابكم لمواودة عوراتكم عند طواف أو صلاة ، وسبب النزول فيه كان أناس من الأعراب يطوفون بالبيت عراة حتى إن كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفها سيورا مثل هذه السيور التي تكون علي وجه الحجر من اللباب وهي تقول :

اليوم يبدر بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
فأنزل الله تعالى هذه الآية « وكلاوا واشربوا »
قال الكلبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال
المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا . « ولا تسرفوا » بتحريم الحلال كما هو المناسب لسبب النزول ، « انه لا يحب المترفين » بل يبعضهم ولا يرضى أفعالهم . « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلقها انفعهم من الثياب كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف « والطيبات من الرزق » أي المستلزمات ، وقيل الحللات من المآكل والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والكفرة وان شاركهم فيها فباتبع فلا أشكال في الاختصاص « خالصة يوم القيامة » أي لا يشركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لمن يعلم ما في تضامينها من المعاني الرائقة . « قل انما حرم ربّي الفواحش » أي ما تزايد قبحه من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، « ما ظهر منها وما بطن » بدل من الفواحش ، أي جهرها وسرها ، وعن البعض « ما ظهر » الزنا علانية « وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الاول ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقاً ، وعن مجاهد « ما ظهر » التعري في الطواف « وما بطن » الزنا . والبعض يقول : الاول طواف الرجال بالتمار والثاني طواف النساء بالليل عاريات . « والائمه » أي ما يوجب الائم وأصله الدم ثم أطلق على ما يوجب من مطلق الذنب ، وذكر

لتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم من قال : ان الائم هو الحر وعليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن تقرب الزنا
وأن نشرب الائم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر :

شربت الائم حتى ضل عقلي
كذلك الائم يذهب بالعقول

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطانة على الناس، وأفرد بذلك بناء على التعميم نياتة أو دخوله في الفواحش المباهلة في الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» بالاحاد في صفاته والاقراء عليه كقولهم: والله أمرنا بها . ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في الأكل والملبس وسائر شئونهم ومادروا أنهم بذلك من اقوم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿الاحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته﴾

﴿التاسعة والعشرون﴾ : الاحاد في اسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تنبيه المؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المحامين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق بشأنه أثر بيان غنائهم التامة وضلاتهم الطامة « فادعوه بها » إيمان الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعوته زيداً أو يزيد أي سميته ، أو اللعاء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيداً أي ناديته ، « واذروا الذين يلحدون في اسمائه » أي يملون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فانه في وسطه . والاحاد في اسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يؤهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وباسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماءه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون به . وقل تعالى « كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أئمة اتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
 متاب « وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج
 ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح
 يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم
 فقال سبيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلة ، ومنهم من قال
 سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال : ان محمداً
 ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو لإلهين فنزلت . وعن بعضهم أنه
 لما قيل لكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت .
 وقيل غير ذلك مما يطول . وقل تعالى « وقانوا الجلودهم لم شهدتم
 علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء . وهو خلقكم أول مرة
 وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
 ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذاكم ظنكم
 الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة
 حم لسجدة . وفي هذه الآية أخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون
 في صفاته كما كانوا يلحدون في أسمائه تعالى . أخرجه أحمد والبخاري
 ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود^(١) قال : كنت

(١) في الأصل : في مسعود ، وهو خطأ صححه من فتح الباري (٨ : ٣٩٧)

ونيسر لوصول (١ : ١٤٠) سنن

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفي
 وقرشيان كثير نخم بطونهم قليل عفة قلوبهم فتكلموا بكلام لم
 أسمع . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر
 إنا إذا رفعنا أصواتنا يسمعه وإذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر :
 إن سمع منه شيئاً سمعه كاه . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأُنزل
 الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
 جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — إلى قوله —
 من الخاسرين » . فهذا هو الاتحاد في الصفات . وأنت تعلم أن
 ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الاتحاد في الاسماء والصفات
 فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها
 من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من
 قل صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قل ان صفاته
 غيره ، ومنهم من قل ان الله لم يتكلم بالكلمة التي أنزلها وأثبتوا له
 الكلام النفسي وأنه لم يكلم أحداً من رسله ، إلى غير ذلك من
 الاتحاد الذي حشوا به كتبهم وملاوها من هذا الهذيان وظنوا أن
 الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها
 ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب
 هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على
 نصوص الكتاب والسنة

﴿ نسبة النقاﺻ الى الله سبحانه ﴾

﴿ الثلاثون ﴾ : نسبة النقاﺻ الىه سبحانه كالولد والحاجة فان النصرى قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا يتوليد العقول ، وقوم من اليهود قالوا العزيز ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لسكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديم السماوات والارض انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخالق كل شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والارض وما بينهما واليه المنصير » قال السدى : قالوا ان الله تعالى أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فأدخلهم النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل محتون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » وقال « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه وتعالى « وقال الله لا تتخذوا الآلين اثنتين انما هو آله واحد قايي فارهبون وله ما في السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله « ويجعلون لمسا لا يعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله آلهة آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا وما يزيدكم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لا ينفخوا الى ذي العرش سيلاً » وقال « فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون » أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من انكم ليقولون وكلد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
البنين مالكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين
فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون ألا عباد الله
المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صالح
الجحيم » وقال « أفرايتم الثلاث والعزى ومناة الثالثة الأخرى
ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذا قسمة ضيزى أن هي إلا أسماء
سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أن يتبعون
الألطان وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - إلى
قوله - أن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية
الأنثى : « وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض
المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله
نصيبا من الولد . وعن قتادة ومقاتل عدلا ، وكلا القولين صحيح
فانهم يجعلون له ولداً وولداً يشبه أباه ، ولهذا قال « وإذا بشر
أحدكم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال
في الآية الأخرى « وإذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا
وهو كظلم » فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً
فإن الولد جزء من الوالد قال عليه السلام « إنما فاطمة بضمة مني » وقوله :
« وجعلوا لله شركاء الجن » وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم « قال السكبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان
 خالق النور والناس والدواب ، وابليس خالق الظلمة
 والسياف والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة
 نسبا » فقيل : هو قولهم الملائكة بنات الله وسعى الملائكة جنّا
 لاختفائهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة . وقيل قالوا
 حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله .
 وقال السكبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله
 « خرقوا له بنين وبنات بغير علم » قل بعض المفسرين : هم كفار
 العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن
 الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما
 نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه
 بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم
 يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء
 في ذلك تولد الاعيان - التي تسمى الجواهر - وتولد الاعراض
 والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد
 فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد عمو
 كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
 الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فهذا احتج بذلك عليهم .

وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتام الكلام في هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و(تفسير سورة الاخلاص) وغيرهما من كتب شيخ الاسلام تقي الدين قدس الله روحه

﴿ تنزيههم المخوق عما نسبوه لمخالق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخوق عما نسبوه لمخالق مثل تنزيه اخبارهم عن اولد والزوجة لأنهم يقولون ان الراغبين في استحصل السككيات كلرهبان واضرابهم يترفعون عن أن يتدنسوا بدناءة الختم بالنساء اقتداء بالمسيح عليه السلام . فانظر الى سخافة القول وما قادم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي (١) رداً على بعض اخبار النصارى بقوله :

قل للفرسل قدوة الرهبان الجائليق البرك الرباني
أنت الذي زعم الزواج بقبصة ممن حماه الله عن نقصان

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسيت تزويج الآله بموجب في زعم كل مثلث نصراني
ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن
وسن وأدهن وقتلن ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه
المقالات وأشباهاها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم
العقل والأ فاهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق
﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل
فرعون . والتعطيل انكار أن يكون للعالم صانع كما قال فرعون لقومه
« ما علمت لكم من إله غيري » ونحو ذلك ولم يخل العالم عن مثل
هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وابتداء هذا الزمان الا
النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر
لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خاتمه وبأثره :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد
ومن أين للطبيعة إيجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها في
الآفاق والأنفس وهي عديدة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله
عما يقولون علواً كبيراً

﴿ الشريعة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشريعة في الملك كما تقوله المجوس .

والمجوس أمة تعظم الانوار والتيران والماء والأرض ويقرون بنبوة زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية اصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء يزنون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية اصحاب مالك الخرمي وهم شر طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والنسكية واليزيدية والحاكية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفانون في التفضيل . فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقادتهم وان كان المجوس قد يتقيدون بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من دينات العالم ولا بشريعة من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما حكى الله عنهم بقوله في الانعام : اولئك الذين هدى الله فبإدهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما نزل الله على بشر من شيء . قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمهم ما لم تعلموا أنهم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون « تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدليل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكربين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجيلة فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الاشياء . واختلف في قائل ذلك القول الشنيع ، فمن مجاهد أنهم مشركو قريش والجهود على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المباغة ، فقليل هم على سبيل الالتزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فإن المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شاكلتهم ومعوج طريقةهم

﴿ جحوده القدر واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحود القدر والاحتجاج به على الله تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على سرها عسر إلا على من وفقه الله تعالى ، ولا ين

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام « سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك کذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندکم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرجون ، قل قلله الحجة البالغة فلو شاء لهداکم اجمعين » تفسیر هذه الآية « سيقول الذين اشرکوا » حکایة لکن آخر من أباطيلهم « لو شاء الله ما اشرکنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الکلام الاعتذار عن ارتکاب القبیح إذ لم یعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم کما نطقت به الآيات يحسبون انهم یحسنون صنعاً وانما یعبدون الاصنام یقربوهم الى الله زانی وان التحريم انما کان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتکبوه حق ومشروع ومرضى عند الله تعالى ، على أن المشیئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيکون حاصل کلامهم ان ما ارتکبه من الشریک والتحريم وغيرها تعلقت به مشیئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشیئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضى عند الله تعالى . وبعد أن حکى سبحانه وتعالى ذلك عنهم رد عليهم بقوله عز من قائل « كذلك کذب الذين من قبلهم » وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو نقول حاصله ان ما شاء الله يجب وما لم يشأ لم يتم ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به لكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، ولكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا يتأني صدق دعوى البعثة والتكليف لأنها لاظهار الحاجة وإبلاغ الحجة « حتى إذا ذاقوا بأسنا » أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيماء إلى أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول ادراك الشيء . « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الاشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظفروه لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين هم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لأنهم كانوا يهزءون بالدين ويبتغون رد دعوة الانبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، فعين طالبهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايان بصفات الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم مناط العيوق . « ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرون » أي تكذبون على الله تعالى « قل فله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية المثانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول والبيان « فلو شاء لهداكم أجمعين » بالتوفيق لها والحل عليها ولكن شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق ، وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك . ومن الناس من ذكر وجهاً آخر في توجيه ما في الآية ، وهو ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلمون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطراب وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قوهم في دعواهم عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه انما يفعل ذلك بمشيئة الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة . ثم بين سبحانه انهم لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح سبحانه أن كل واقف واقع بمشيئته ، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهدوا أجمعون . والمقصود أن يتمحض وجه الرد عليهم وتخصيص عقيدة نفوذ السنة وعموم تغلقها .

بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم سلب الاختيار لأنفسهم وان اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت الآية وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية وبذلك تقوم الحجة البالغة لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه الآية بأن مرادهم ردّ دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله تعالى شاء شركنا وأراد منا وأنتم تخالفون ارادته حيث تدعوننا الى الايمان ، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه « فقله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي اذا كان الامر كما زعمتم « فقله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو شاء » بدل منه على سبيل البيان أي لو شاء لذل كلاً منكم ومن يخافكم على دينه فلو كان الامر كما تزعمون لكان الاسلام أيضاً بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الاسلام كما وجب بزعمكم أن لا تمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين المسلمين مخالفة ومعادة بل موافقة وموالاته . وحاصله أن ما خالف مذهبكم من النحل يجب أن يكون عنكم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى فيلزم تصحيح الاديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين » الكلام على هذه الآية كالكلام على الآية السابقة ولا تراهم يتشبثون بالمشيئة الا عند انحلال الحجة ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلاتهم في سورة الانعام في الآية السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالى « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم سكتكذب شهادتهم ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا بخرصون . أم آتيتهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » ويكفي في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فله الحجة البالغة » والمراد بما حرموه السوائب والباحائر وغيرها ، وفي تخصيص الاشتراك والتحریم بالنفي لانها أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة رأسا فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ ينتم ، فلو أنه سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئا ونحل ما أحله ولا نحرم شيئا مما حرمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهته تعالى لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وتحليل ما أحله وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك فعل الذين من قبلهم » من الأمم أي أشركوا بالله تعالى وحرّموا من دونه ما حرّموا وجادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق « فقل على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفتهم الا البلاغ للرسالة الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق نقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجأزم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الأفعال لابد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا تكن الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فبحسب القدر والاحتجاج به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية والمقصود انه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردت عليها الله سبحانه ورسوله ﷺ

﴿مسبة الدهر﴾

﴿السادسة والثلاثون﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والختم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحْيى » أي نموت طائفة ونحْيى طائفة ولا حشر أصلاً . ومنهم من قال أن كثير آمن عبادة الأصنام كان يقول بالتناسخ ، وعليه فالمراد بالحياة إعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واستادهم الاهلاك في الدهر النكر منهم من الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يستندون لأحداث مطلقاً إليه جهلهم أنها مقدره من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك منوode من شكوى الدهر ^(١) وهؤلاء معترفون

بإشراق قول قائلهم .

كبر العادة وممر العيش	ثابت صغير وفوق صغير
ومرغيباً من حيث لا تعلمي	ومن قول الآخر .
	مع القدر ثبات الشمس
فلما في غشمة من نيل	وقال الآخر .
تكررت اتصال عن اتصال	« يا الدهر ما تبارك حتى
	وكنتم يا سبائي داه
	والأمر في ذلك قديم وحديث كبير

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى
 الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »
 والسكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير . وقد جاء النهي عن سب
 الدهر أخرج مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي
 رواية لآبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول :
 يا خيبة الدهر ، فلا يفل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أقلب ليله
 ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبيدي
 فلم يقرضني وشتمني عبيدي وهو لا يدري يقول وادهره وأنا الدهر »
 وروى البيهقي « لا تسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الآيات
 والليالي أجدها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن
 الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع
 السب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم
 بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر
 عنه مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ما هم إلا قوم
 قصارى أمرهم اظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن
 يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق
 بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله
 تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض
 جهل وقائه جاهل في أي عصر كان . ولأهل زماننا حفظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل . والله المستعان

﴿ إضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : إضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرائيل تقيمكم الآخر وسرايل تقيمكم بأسكم ، كذلك نعيم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . فمن تولوا فاما عليك البلاغ المبين . يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقوله « يعرفون نعمة الله » الخ استئناف لبيان أن تولي المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمة الله سبحانه وتعالى أصلا فأنهم يعرفونها أنهم من الله تعالى ثم ينكرونها بإفعاظهم حيث « يفرّدو » منعمها بالعبادة فكأنهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلا ، وذلك كفران منزل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قولهم : ورثناها من آباءنا . وأخرج هو وغيره أيضا عن عون ابن عبد الله انه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل : لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها اضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قولهم هي بشفاعة آلهم عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

صَلَّى أَي يَعْرِفُونَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبِيَّ الْمَعْجَزَاتِ ثُمَّ يَشْكُرُونَ ذَلِكَ وَيُحَدِّثُونَهُ عُنَادًا وَأَكْثَرُ الْكَافِرِينَ « أَيِ الْمُنْكَرُونَ بِقُلُوبِهِمْ غَيْرِ الْمَعْتَرِفِينَ بِمَا ذَكَرَ . وَالتَّعْبِيرُ بِالْأَكْثَرِ إِمَّا لِأَنَّهُمْ بَعْضُهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْحَقَّ لِنَقْصَانِ عَقْلِهِ وَعَدَمِ اهْتِدَائِهِ إِلَيْهِ ، أَوْ لِعَدَمِ نَظَرِهِ فِي الْأَدَلَّةِ نَظَرًا يُوْدِي إِلَى الْمَطْلُوبِ ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لَكُونِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْمَكْلُفِينَ لَصُغَرِهِ وَنَحْوِهِ ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ يَقَامُ بِمَقَامِ الْكُلِّ قَاسِمًا الْمَعْرِفَةِ وَالْإِنْكَارِ الْمُتَفَرِّعَ عَلَيْهَا إِلَى ضَمِيرِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ بَابِ اسْتِنَادِ حَالِ الْبَعْضِ إِلَى الْكُلِّ

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْخَبَرُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ « أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ » أَيِ تَقُولُونَ مَطَرَنَا بَنُوهُ كَذَا وَكَذَا . رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَطَرُ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ . قَالُوا : هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَضَعَهَا اللَّهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَقَدْ صَدَّقَ نَوْهُ كَذَا فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ « فَلَا أَصْبَحُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » حَتَّى يَبْلُغَ « وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ » إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اسْتِنَادَ النُّعْمِ إِلَى غَيْرِ مُنْعِمِهَا الْحَقِيقِيِّ كُفْرَانٌ لَهَا . وَقَدْ ذَكَرْنَا مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْأَنْوَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَفَصَّلْنَا تَفْصِيلًا ، وَذَكَرْنَا شَعْرَهُمُ الدَّالَّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ هَذَا :
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم وأمانه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكبل تعريف الأخسرين وتبين خسراتهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على مخاطبين . أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور في الذين كفروا بآيات ربهم » بدلالته سبحانه الداعية إلى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقائه » هو كناية عن البعث والخسر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه « فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً » أي فتزدي بهم ونحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنهم وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمرأ كان عليه أهل الجاهلية في هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبذ آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشترأ كتب الباطل واختيارها عليها ، أي على الآيات ، قال تعالى « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ما تنلو الشياطين على ملك سامان - الى قوله - ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا أن اشترأ حاله في الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون . ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون » ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشترأ » أي استبدل ما تنلو الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب « ولبئسما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيعاً شروا به حظوظ أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء ولو أنهم آمنوا أي بالرسول أو بما أنزل اليه من آيات أو بالتوراة « واتقوا » أي المعاصي التي حكيت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون « أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانتي وإن هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله يشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكتبون » وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب رياستهم بإتقاء صفة النبي ﷺ على حالها فغبروها

﴿القدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿الأربعون﴾ : القدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال الجاهلية القدح في حكمته تعالى وأنه ليس بحكيم في خلقه بمعنى أنه سبحانه يخلق مالا حكمة له فيه ، ويأمر وينهى بمالا حكمة فيه ، وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين « أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » وفي سورة الأنبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهمواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وان الساعة لا آتية فاصفح الصفح الجليل » الى غير ذلك من الآيات
الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على
خلاف ما يعتقدوه أهل الباطل من الجاهليين ومن انحازهم من هذه
الامة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى ، وهذه مسألة طويلة
الذيل قد كثر فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كُن عليه
السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أظن الكلام عليها
الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، وعقد باباً مفصلاً في طرق اثبات حكمة الرب
تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الجيدة
التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قل في هذا الباب : انه سبحانه
وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا لحكمة كقوله
« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أيعسب الإنسان أن يترك
سدى » وقوله « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات المحموده التي
لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله
باسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر
ويطاع . ومنها أن يأمر وينهى ويشرع الشرائع . ومنها أن يدبر
الأمر ويبرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويماقب فيجازي الحسن باحسانه والمسيء باساءته
 فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكر .
 ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه . ومنها أن يصدق
 الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيبينه . ومنها ظهور آثار أسمائه
 وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي فيعلم
 عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع . ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه
 وحده ربها وخالقها ومليكمها وأنه وحده آلهها ومعبودها . ومنها
 ظهور أثر كماله المقدس قان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير
 ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً . ومنها أن يظهر أثر حكمته
 في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به وبحيئته على
 على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة .
 ومنها انه سبحانه يحب أن يمجود وينعم ويعفو ويسامح ولا يبد
 من لوازم ذلك خافاً وشرعاً . ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح
 ويمجد ويسبح ويعظم . ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته
 وآلهيته . الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق . فخلق مخلوقاته
 بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق
 فصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثنى على عباده
 المؤمنين حيث نزهوه عن ايجاد الخلق لا شيء . ولا لغاية فقال
 تعالى « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لآياتٍ لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . وبنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أو لياثمه فقال « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا » . وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وانما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا افاية مقصودة وهل هذا الانكار لحقيقة حمده بل الخلق والأمر انما قام بالحكم والغايات فيها مظهران لحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار لحقيقة خلقه وأمره فن الذي أنبته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقاً وأمرآ لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة ، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة للكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا فرق بين هذا وهذا الا بتجرد الامر والنهي . ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفة عين ويثيب من عصاه بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والتعجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه

الا يخبر الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه
بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتنزيهه عن الظلم والجور بل هذا هو
عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجيب ان كثيراً من
أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات
الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا
ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن
التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على
عرشه وعلوه فوق سمواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا
يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله
وفي تنويره . انتهى المتصود من نقله وإتمام الكلام في هذا
الباب من ذلك الكتاب واليه سبحانه المرجع

﴿ الكفر بالملائكة والرسول والتفريق بينهم ﴾

(الحادية والاربعون) : الكفر بالملائكة والرسول والتفريق
بينهم . قل تعالى لا تقولوا آتينا موسى الكتاب وقيننا من بعده
بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلمنا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقولوا قومنا غلب بل لعنهم الله بكفرهم فقتلنا ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده غيظاً بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين - إلى أن قل - قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فأن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليكم آيات بيّنات وما يكفر بها إلا الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات أن بعض المكشبيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسل ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » وقلوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير

﴿ الغلو في الانبياء والرسول ﴾

﴿ الثانية والاربعون ﴾ : الغلو في الانبياء والرسول عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتبهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصالحين كما كان في قومه نوح من عبادة كسرو وسواع ويغوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدال بغير علم ﴾

﴿ الثالثة والاربعون ﴾ : الجدال بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجليل يجادلون أهل العلم عند نهيبهم عما ألفوه من البدع والاضلالات . وهي صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون» أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قل : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقاتل الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقلت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المنادية على جباههم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿الكلام في الدين بلا علم﴾

قل الشيخ {الرابعة والاربعون} : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجهل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحتم بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام إلى أن ضل فيهم الخراعي^(١) فغير وبدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبحر البحيرة وحمى الحام واستقسم بالأزلام الى غير ذلك مما فصلنا في غير هذا الموضع وإن شئت أن تعرف جيل العرب

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجابيون يتخذونه رباً في امتثال امره وطاعته والاعتقاد

وما ابتدعوه فقرأ سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالتهم
ومبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا
أخبارهم ورواياتهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان
أخبارهم ورواياتهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلوا وحرموا ما
اشتبهت أنفسهم فقبلوا ذلك منهم وأطاعوه عليه مع أن الدين إنما
يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورسله عليهم السلام ولا
يكون بأراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على
مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً
يأبون أنسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أول نصوص الكتاب
والسنة على حسب شهواته ويمتضي هواد فهو أيضاً من قبيل
الذين يخون أنسنتهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم
كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها مستند من
دلائل الشريعة . فإلى الله المشتكى من صولة الباطل وخول الحق

﴿ الكفر باليوم الآخر ﴾

﴿ الخامسة والأربعون ﴾ : الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح وبيع بعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار قل تعالى في سورة الكهف « قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه » الآية . وقد مر الكلام عليها قريبا . وقل تعالى في سورة النحل « وأقسموا بالله جسداً يمينهم لا يبعث الله من يمت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون لنبيين هم ثم يخيطنون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » إلى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله . ولتقوم عصرتنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظ وافر ونصيب كامل ومن يضل الله فلا هادي له ويندرهم في طغيانهم يعمهون . نسأله تعالى التوفيق للهداية

﴿ التكذيب بآية مالك يوم الدين ﴾

﴿ السادسة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « مالك يوم الدين » وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات والتكذيب

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿التكذيب بآية لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾

﴿السابعة والأربعون﴾ : التكذيب بقوله تعالى « لا يبع فيه

ولا خلة ولا شفاعة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا انفقوا

ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة

والكافرون هم الضالون » . والخلة المودة والصدقة ومعنى ولا

شفاعة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن

يشاء ويرضى . وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر

الاشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه

من فرجوه لأن من في ذمته حق مثلاً إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه

به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجئ الى من يشفع له في

حظه والسكس منتف . ولا مستعين إلا بالله عز وجل

﴿الخطأ في فهم معنى الشفاعة﴾

﴿الثامنة والأربعون﴾ : التكذيب بقوله تعالى في سورة

الأنعام « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد

بالحق وهم يعلمون » . وقوله ولا يملك الذين يدعون أي ولا يملك

آلهم الذين يدعونهم من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت ترى الناس اليوم عما كفين على أصنامهم يدعونهم من دون الله وعذرهم عند توبيخهم أن هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة ر لأربعون ﴾ : قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون بالنفس من النفس قل تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأولوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويعتدون بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » وقل في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموه إن كنتم صادقين » إلى آيات أخر في هذا المعنى صرحت بما لا قade لأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم المخلصون ودعاة الحق ^(١) وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك أن الشيخ المصنف لاقى من أبناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم إلى الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تنهد له الصياح وتذيب له النواصي كما لا يخفى على من طالع سيرته المقدسة فعمده الله برحمته . ووضوئه

الغداة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي
هؤلاء أ كابر الأمة المحمدية وعلمائوها الأعلام قد صادفوا
عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس
وتشيب منه لمم الممداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم
المؤمنون وإن كانوا يبتلون في أول الأمر فللعاقبة لهم كما قل تعالى
لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغريب توحىها اليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين »
وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان
المشركون حياءا فعده لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب
بينكم وبينهم فقالوا الحرب بيننا وبينه سجل يدل علينا المرة
وندال عليه الأخرى قتل كذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة
فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم
ما ينصر الكفار بعد حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل
ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن
بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من
يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسنعه على الشدينين كما سلب بخت نصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب
أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم مكن يقتل
من المؤمنين في الجهاد شهيداً قل تعالى « وكأين من نبي قاتل معه
رِيتون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قلوا ربنا
اخفر لنا ذنوبنا وامرأنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين فأثبهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في
القتال كان حله أكل من حال من يموت حتف أُنْفه قل تعالى
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند
ربهم يزرقون » ولهذا قل تعالى « قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسنيين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم إن الدين
الذي قاتل عليه الشهداء يقتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة
في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان
منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر إذ كان الموت لا بد
منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكل
بخلاف من يهلك هو وخائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا
في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل تبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المذمومين وقيل فيهم «كم تركوا من جنات وعيون وزرع ومقام كريم وأمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثنا قوماً آخرين فما بك عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين» وقد أخبر سبحانه أن كثيرًا من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ما ضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحيانًا هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا قاموا بعهوده ووصاياه نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فإذا ضيعوا عهوده ظهر أولئك عليهم فدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار على ندائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقوض الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله وأظهاره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد إعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خلفه وإن يجعل لهم السعادة ومن خلفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خلفه كان شقيماً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني إسرائيل فإنه من دلائل نبوة موسى إذ كان ظهور بخت نصر إنما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا إذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرها قل تعالى « وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فلما جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء
 وعد الآخرة ليسوفوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول
 مرة وليتبرأوا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا»
 فكان ظهور بني اسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم
 تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته . وكذلك
 ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم
 عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلام
 نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد
 موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك
 انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته
 مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين
 يقتصرون على أهل الكتاب أحياء فان أولئك لا يتقونوا^(١) مضاعفة
 الى نبي ولا يقاتلون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من
 أولئك أن يتبعوه على دينهم بل قد يصرحون باننا انما نصرنا
 عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة
 لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتيل لهم
 يطلب بقتله سعادة بعد موت ولا يختارون القتل ليمسكوا بعد
 الموت . فهذا وأمثلة مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمه على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوّة لا يتم أمره وانما يتم أمر الصادق فان من أهل الكتاب من يقول محمد وأمه سقطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سقط بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فان بخت نصر لم يدّع نبوة ولا قتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان ينتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتهم لما ادّعى من النبوة ودعا اليه من الذين بل كان بمنزلة المحاربين قطاع الطريق اذا ظهوروا على القوافل بخلاف من ادّعى نبوة وديننا دعا اليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ثم نصرده الله وأظهره وأتم دينه وأعلى كلمته وجعل له العقبة وأذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات المتقرن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذلك من جنس خرق العادات المتقرن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها

وقد يفرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه . ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الانوهمية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الانوهمية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فإن تأييد الكذاب بنصرته وظهور دعوته دائماً فهذا لم يتم قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة حكيمته تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديرتهم لا يجردون » ولا نصيراً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فأخبر أن سنة الله التي لا تبدل لها نصير المؤمنين على الكافرين والأيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله . فإذا نقص الأيمان بالمعاصي كن الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أحدى من أحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلئن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبدل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قل في المنافقين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نذق « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فإذا نصر من ادعى النبوة واتبعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فإن ذلك دليل على أنه نبي صادق إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تؤيدهم بآيات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من كفر الكفار وأظلم الظالمين قل تعالى « ومن آتاه من افترى على الله كذباً أو قول

أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال ما أنزل مثل ما أنزل الله «
وقال تعالى « فمن أظلم من كذب على الله وكذب بالصدق اذ
جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم من افترى على الله كذباً أو كذب
بالحق لما جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم من افترى على الله كذباً
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن كان
كذلك كان الله يمتقه ويغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
قل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة قل ان الله يملئ لأظالم فائذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ « وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » وقال
أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله
ﷺ من لمؤمن كمثل الخدعة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة
وتحيلها أخرى ومثل المتافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على
أصلها حتى يكون انجفاف مرة واحدة . فالكاذب الناجر وان
عظمت دويلته فلا بد من زواله بالكلية وبقاء ذمه ولسن السوء
فيه في الغد وهو يظهر سريعاً ويذول سريعاً كدولة الأسود
العنسي ومسيمة الكذاب وحارث المشقي وبابا الرومي ونحوهم .
وأما الأنبياء فانهم يمتحن كثيراً بمحسوسات بالبناء فان الله تعالى
انما يمكن العبد ذل ابتلاء ويظهر أمره شيئاً فشيئاً كزرع قل

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سبأهم في وجوههم من أثر السجود ذلك منهم في التوراة ومنهم في الإنجيل كزراع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزروه (أي قواه) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ». ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياءه وأوليائه الصادقين وفي أعداءه الله والمنتهبين الكتابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المنهبي الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لسكنات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقل تعالى « أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقل تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » والمتصود أن ايذاء القائلين بالحق والناشرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك. والله المستعان

﴿ الإيمان بالجبت والطاغوت ﴾

(الطهون) : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المسلمين قد تعدى في سورة النساء « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » هذه الآية نزلت في حين بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذاك أنهم خرجوا إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينتقصوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مشواره ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنهم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا يؤمن هذا ان يكون مكرراً منكم فان أردت ان تخرج معك فاسجد لهدين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قل كعب يا أهل مكة ليحيي منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فتلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجاهد على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فايئنا أهدي طريقاً وأقرب إلى الحق ، نحن أم محمد ؟ قل كعب اعرضوا على دينكم فقتل أبو سفيان نحن فنحز الحجاج الكوماء ونستقيم البن ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلاً مما عذبه محمد فأنزل الله في ذلك الآية وانجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ومعنى الايمان بهما إيمان التصديق بأقهما آلهة وإشراكهما بالعبادة مع الله تعالى . وإيمان طاعتهما وموافقتهما على ماها عليه من الباطل . وأما التقدير المشترك بين المعتدين كالتعظيم مثلاً والتبذير المعنى الاول أي أنهم يصدقون بالوهمية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الآله الحق .

ويسجدون لها .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

﴿ الحادية والخمسون ﴾ : لبس الحق بالباطل وكنهانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . فانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق . فالثاني ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من حقيقة رسالته ﷺ وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق ثم التوصل الى دفعه ﴾

﴿ الثانية والخمسون ﴾ : التعصب للمذهب والاقرار بالحق التوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقلت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا بشئ تبص دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يفتي أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيده الله يقوته من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » قال الحسن
والسعدى : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أجبار يهود خيبر وقرى
عربين وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان
دون الاعتقاد واكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب
وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

❦ اتخاذ النبيين أرباباً ❧

(الثالثة والخمسون) : تسميتهم اتباع الاسلام شركاء قل
تعانى « ما كان لبشر ان يؤتية الله الكتاب والحكم والنبوة ثم
يقول يا قوم كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعملون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسنده حين اجتمعت الاحبار من
اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام اتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد
النصارى عيسى بن مريم فقتل رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله أن يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلام عن مواضعه ﴾

﴿الرابعة والخمسون﴾ : تحريف الكلام عن مواضعه ولي الألسنة بالكتاب . قل تعالى في سورة آل عمران « وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميع وذلك أنهم حرفوا التوراة والإنجيل وأخفوا بكتب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن اخرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فنذهب جمع الى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وإن تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت التوراة وتوحيلاً لا بطلاً للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن «توراة والإنجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منها حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فانلوها ان كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق مراههم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتابهم واحتجوا على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه قول الرسول لهم ذلك لاحتمال علمه ببقاء بعض ما يفي بشرطه سائماً عن التغيير . إما جعلهم بوجه دلالته أو لصرف الله تعالى إليهم عن تغييره وتميم الكلام في تفسير الجدة عند الكلام على هذه الآية وكذا في الجواب الصحيح للشيخ الاسلام . وكثير من الأمة المحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف والتأويل واتباع شبهاتهم وقل تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير مسمع وراينا لياً بالسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قولوا سمعنا وأطعنا وسمعوا وانظروا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا» والكلام على هذه الآية أيضاً
مستوفى في التفسير

﴿تلقب أهل الهدى بألقاب غريبة﴾

(الخامسة والخمسون) : تلقب أهل الهدى بالصابئة والحشوية
فقد كان أهل الجاهلية يلقبون من خرج عن دينهم بالصابئة كما
كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد
في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرها تنفيراً للناس
عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون
على من خلفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة
أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عليها أهل المقالات بما
لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود
مالا معنى له في الكتاب والسنة كالخروف في أوائل السور
كأننا قل بعضهم وهم الذين قل فيهم الحسن البصري لما وجد
قومهم سائط وكانوا يجلسون في حلقاته أممته ردوا هؤلاء إلى
حشا أخلة أي جانبها . وخصوص السلفيين يرمونهم بهذا الاسم
تنفيراً للناس عن اتباعهم ولاخذ بأقوالهم حيث يقولون في
التشابه لا يعز تنويه إلا الله وقد أخطأت أسمتهم الحفرة فالسلف

لا يقولون بورود ما لا معنى له لافي الكتاب ولا في السنة بل يقولون .
 في الاستواء مثلاً: الاستواء غير محمول والكيف غير معقول والاقرار
 به ايمان والجحود به كفر وقد أطل الكلام في هذه المسئلة شيخ
 الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه ونلص ذلك في كتابه جواب
 أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق
 بين مذهب السلف ومذهب الخشوية، أن مذهب الخشوية ورود
 ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مصنفًا فالاستواء مثلاً عندهم له
 معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات الغوية
 إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى
 آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل وكيف يكون مذهب
 السلف هو مذهب الخشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو
 من أكابر السلف سقوط قول الخشوية ولم يرض ان يعتمد قتله
 تجاهه . والمقصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة
 والحديث بمثل هذا التلقب الخبيث . قل أبو محمد عبد الله بن قتيبة
 في تأويل مختلف الأحاديث ان أصحاب البدع سموا أهل الحديث
 بالخشوية والنابذة والمتجبرة والجبرية وسموهم الغناء وهذه كلها انباز
 لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في
 القدسية أنهم مجوس هذه الامة فمن مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنازتهم . وفي ارافضة يكون قوم في آخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوههم فانهم
مشركون . وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على
لسان سبعين نبياً المرجئة والتدريية . وفي الخوارج يمزقون من
الدين كما يرق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة
انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمى أهل الحديث خشوية لقولهم
بالاخبار وتعلقهم بالآثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخلفون على عشر أهل الحديث وسموهم بمجسة
ومشبهة وقولوا هم المتسترون بالبلكمة (١) وقد وضع لدي وضوحاً
بيناً أن استغائبهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم
رواية ودراية وخطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال
العلامة ابن القيم في كفايته الشافية : فصل في تلقيبهم أهل السنة
بالخشوية ويقال من أولى بالوصف المذموم من هذا الثقب من
نصائتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :

ومن العجائب قولهم من اقتدى	بالوحي من أثر ومن قرآن
خشوية يعنون خشواً في الوجود	وفضلة في أمة الانسان
ويظن جعلهم بينهم خشواً	رب العباد بداخل الاكوان

(١) من كلمة (الانبياء)

إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الجبر بأن «في» للظرف والا
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبتهتو أهل الحديث بدفا
 بل قولهم ان السموات العلى
 حقاً كخردلة ترى في كف مـ
 أترونه المحصور بعدأم السما
 كم إذا مشبهة وإذا حشوية
 تدرون من سميت شيوخكم بهذا الاسم في السطح من لأزمن
 حتى به عمرو لعبد الله ذا
 فمورثتم عمرو كورثوا لعبد
 تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله يجوز ان
 من قد حشى الأوراق والأذهان من
 هذا هو الخشوى لا أهل الحديث أئمة الاسلام والأئمة
 وردوا عذاب مذهب السنن التي
 يوردتم القوط بجري كل ذي ال
 وكسبتهم تصعدوا للورد من
 وأمر الشرايع خيبة الكسلان
 وحصل هذه الابيات أن أعداء الحق وخصومه السنة وأضداد

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الخشوية، فالخواص منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعاب بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العامة منهم فيظنون أن تسمية السلف بالخشوية لتولهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل الكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصره هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين واثم المستعان على ما تضمنون

﴿التكذيب بالحق﴾

﴿السادسة والخمسون﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق . وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب مخالفين الدين المبين كاليهود والنصارى يدعون أن ما هم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتكذيب به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لا تتبع أسلافهم لا يفتخرون الى الدليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وأن الله أمرهم وأن ما عليه أهل الحق مقترى لا يصدقون به
وكل يدعي وصلا ليلي ويلي لا تقرأ لهم بهذا

﴿ الافتراء على المؤمنين ﴾

﴿ السابعة والخسون ﴾ : رمى المؤمنين بطلب المال في الارض
قال تعالى في سورة يونس « قُلُوا أَجْتَنَّا لثَلْثَتَنَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
آيَاتُنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِتُؤْمِنِينَ »
هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألتمهم فخرجوا
فانقطعوا عن الايمان بكلامه له تعلق بكلامه عليه السلام فصلا
عن اجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليل الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج ، حتى أنه
استغنى وقم جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قلم موسى ، كأنه قيل فماذا قلوا موسى عليه السلام حين قل لهم
ما قل ؟ قيل قلوا عجزين عن الحاجة « أَجْتَنَّا لثَلْثَتَنَا وَجَدْنَا
عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَتَكُونُ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ » أي التفت كما روى
عن جماعة وعن الزوجج أنه لما سمى التفت كبرياء لأنه أكبر
من يطلب من أمر الدين ، فكل من دعا الى الحق رماه من كان على
مستل الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الزيادة واجاد من غير

ان ينظروا الى ما دعا اليه وما قام عليه من البراهين

﴿ رمى المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بالفساد في الارض. شاهد هذه المسألة آيات كثيرة ، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين مفسدون في الارض . انظر الى قوله في أوائل سورة البقرة كيف ادعوا أنهم هم مصلحون . وقد رد الله عليهم بقوله « ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم وتمكنت بدعهم من قلوبهم :

ومن يك ذا فم مريض يجده مرأً به الماء الزلالا
نساءً تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على
الصراط المستقيم

﴿ رمى المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بتبديل الدين . قال تعالى في سورة مؤمن « أي أخف أن يبدل دينكم وإن يظهر في الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرفهم عما هم عليه

من الغي [فقد اراد] اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض .
وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر .

﴿ اتهم أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم إذا غلبوا بالخجة فزعوا الى السيف
والشكوى الى الملوك و [دعوى] احتقار السلطان و [تحويل]
الرعية عن دينه . قل تعالى في سورة الاعراف « أتدبر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه
وتحريضهم ايادى مقاتلة موسى عليه السلام وتوبيخه . وما ذكر
في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الحادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال
تعالى في سورة ق « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا باحلق لما جاءهم فيها في أمر مريج » فقله
بل كذبوا باحلق الخ اضرب اتبع الاضراب الأول للدلالة على
أنهم جاءوا بما هو أقطع من تعجبهم وهم الكذابين باحلق الذي
هو النبوة الشريفة بالنعجزات في أول وعلة من غير تمكر ولا تدبر
فهم في أمر مريج مضطرب وذلك بسبب فقههم النبوة عن البشر

بالسكية تارة وزعمهم أن اللائق بها أهل الجاه والمال كما ينبغي عنهم قولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» تارة أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة كاهن ، أو هو اختلاف حكم ما بين تعجب من البعث واستبعاد له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو سحر أخرى وقل تعالى في سورة الذاريات «والسماء ذات الأجنات أنكم لي قوم مختلف يؤفك عنه من أفك قتل الطواغوت الذين هم في غمرة ساهون» أجبك جمع حبيكة كطريقة أو حبان كمثل ومثل ومراد بها ما لطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب أو معتوقة التي تدرك بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع وقدرته وعظمته وحكمته إذا تأملناه التناظر بقوله «أنكم لي قوم مختلف» أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون أنه جل شأنه خالق السموات والأرض وتقتنون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون تارة أنه مجنون وأخرى أنه ساحر ولا يكون الساحر إلا «قلا وفي أمر المحترق فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلا وتزعمون أخرى أن أصدانكم شفعاؤكم عند الله تعالى هو

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايمان به وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا بالايمان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول المختلف « الذين هم في غمرة سهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقيل تعالى في أواخر سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » نحا أمرهم الى الله ثم ينبعهم بما كانوا يفعلون « هذه الآية استئناف لبيان أحوال أهل الكتابين امر يبين حال مشركين بناء على ما روي عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود والنصارى أي بسدوا دينهم وبعضوه فتمسكت بكل بعض منه فرقة منهم « ذكرنا تبيين » أي فرقاً تشيع كل فرقة اماماً وتابعة أي تقويه وتظهر أمره « أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة » وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة » وستفرق أمي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة من فرق كل من أهل الكتابين انه هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ وأما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم . « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن
تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم . « اتما أمرهم الى الله .
تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم أولاهم وأخراهم
ويدبره حسب مقتضيه الحكمة . ومن الناس من قال المفرقون أهل
البدع من هذي الأمة . فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير
والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » الخ هم أهل البدع والاهواء
من هذه الامة فيكون الكلام حينئذ استثناءً لبيان حال المتبدعين
اثر بيان حال المشركين ، اشارة الى أنهم ليسوا منهم ببعيد
والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد
فرقوا دينهم وتغيروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم
لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها . ومنهم من كان
يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم . وكذلك
الكتابيون على ما بينا . فالاقتراف ناشى عن الجهل وإلا فالشرعية
أخقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن
يؤكد الحق ويعدد الباطل قل تعالى « الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أوليؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيف ، فتمزقه الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحقّة هو من دأب أتباع الرسل والملتزمين بما شرعه الله تعالى

﴿ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ﴾

﴿ الثانية والستون ﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال تعالى في سورة البقرة « وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قُلُوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدق لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أي لستم على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها ، ومرادهم بضمير التكميم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ، وفيه إيحاء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام ، وندبوا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة وتجاه الكلام في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم

عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال

تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود إبطال ما كان عليه الحس من الوقوف بجميع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنت قریش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناه : ثم أفيضوا أيها الخبيث من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدهم بترك الطيبات من ارزق﴾

﴿الخامسة والستون﴾ : تعبدهم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . وكلموا وشاربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذات نضج الآيات لقوم يعنون . » وسبب نزولها على ما روي عن ابن عباس أنه كان من الاعراب يضوفون بالبيت غيرة حتى ان كانت امرأة تضوف بالبيت وهي غريفة فتعق على سقمها سيورا مثل هذه لسير التي تكون على وجه الحمر عن الغياب وهي تقول :
يوم يسو بعضه أوكه وما بها منه فلا أحد

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم » الخ وكلموا وشاربوا مما طاب لكم ، قل السكبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك . فنزلت
تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بتحريم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أي من المستلذات وقيل الحللات من المأكول والمشروب كلحم الشاة وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركون فيها غيرهم

﴿ تعبدكم بالمكاء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدكم بالمكاء والتصدية . قال تعالى في سورة الانعام « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان صلاتهم عند البيت . أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صفيراً وتصدية أي تسفيئاً وهو ضرب من اليد بحيث يسمع منه صوت . والمراد بالصلاة . الدعاء أو الفعل . آخر كانوا يفعلونها ويسمون بها صلاة

وحمل المكاء والتصديّة عليها بتأويل ذلك بأنهم لا فائدة فيها ولا معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللاعب . وقد يقال المراد أنهم وضعوا المكاء والتصديّة موضع الصلاة التي تليق أن تقع عند البيت . يروى أنهم كانوا إذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يصلي يخلصّون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنهم يصلون أيضاً ويروى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفتون . وبأبي الآية معلوم . والمتصوّد أن مثل هذه الأفعال لا تكون عبادة بل من شعائر الجاهلية . فما يقع له اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد من المكاء والتصديّة يزعمون أنهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقل الله صفق لي وغنّ وقل كفراً وسمّ الكفر ذكراً

وقد جعل الشارع صوت الملامي صوت الشيطان ، قال تعالى « واستغفر من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورجلك ، وشاركتهم في الأموال والأولاد ، وعذمت وما يعصم الشيطان الا غروراً »

﴿ النفاق في العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعواهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ : دعواهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعواهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التاسعة والستون ﴾ : دعواهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المكر الكبير ﴾

﴿ السبعون ﴾ : المكر الكبير . كفعل قوم نوح قل تعاض في سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكراً كبيراً وقالوا لا تدركنا الأهلك ولا تدركون وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً » ومعنى المكر الكبير والمكر الكبير احتياله في الدين وصدده بنفس عنه واغرائهم وتحريضهم على أذية نوح عليه السلام . وعكس فعل أخلاف هؤلاء من مردة الدين وتباع

الهوى وعبيدة الدنيا يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه قد تشابهت قلوبهم . نسأله تعالى أن يعيد رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة ويصونهم من مكرهم وقد جرّبهم فرأيت منهم خيائت بالمؤمن نستجير

١ - آية علامتهم

الخدائية والسبعون : آمنتهم أما عالم فجر وامد عبد جاهل قل تعالى « أفنتصعون أن يؤمنوا لكم بقرعة كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما سمعوه وهم يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتش الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم آيئون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإنهم الايضوا فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فيشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون فقد ذكر في الآية أن فريقاً من أسلاف اليهود وهم الأجير كانوا يسمعون التوراة ويؤثرونها تأويلات فاسدة حسب أغراضهم بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقاها كما فعلوا ذلك في نعتهم صلى الله عليه وسلم

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فقيروده باسم طويل
وغيروا آية الرجم بالنسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم
فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعوي الكاذبة والمراد
بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتعام الكلام في هذا المقام يطلب
من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على
الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أخبار السوء
اليوم والرهبان الذين يقولون على الله ما لا يعلم قد تجاوزوا الحد
في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه
الاسلام والامر لله

﴿ زعمهم أنهم أولياء الله ﴾

﴿ الثانية والسبعون ﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس
دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين
عادوا : أي تهودوا أي صيروا يهوداً » ان زعمهم أنكم أولياء الله «
أي أحبائه نه سبحانه » وانه يضيف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه
« الا أن ولياء الله ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها
ومن دون الناس : أي متجاوزين عن الناس » فتمنوا الموت « أي فتمنوا
من الله تعالى ان يميتكم ويقتلكم من دار البلية الى محل الكرامة

«ان كنتم صادقين» في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الانكار والا كدار. وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكذبهم فانهم كانوا يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، كما أخبر تعالى عن الكتائبين في كتابه فقال جل شأنه «وقلوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانتهم قل هل منكم من أتبعهم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر : ان اتبعتم محمداً أطعناه وان خالفتموه خالفناه . فقلنا نحن أبناء خليل الرحمن ومث عزير ابن الله والأنبياء ومثي كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من محمد ولا سبيل الى اتباعه . فنزلت «قل يأيها الذين هادوا» الآية «ولا يتمنوه أبداً» اخبار بحالهم المستقبل وهو عدم تمنهم الموت وذلك خاص بأولئك المخاطبين وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم والذي نفسي بيده لا يقول أحد منكم إلا غص بريقه فم يتمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

يصدق على الله تعالى عليه وسلم فعلموا أنهم لو تمنوا لما اتوا من
ساعاتهم ولحقهم الوعيد. وهذه إحدى المعجزات « بما قدمت أيديهم »
أي بسببه كأنه قيل انتفى تمتيهم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته
أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من
بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبر بها تارة عن النفس
وأخرى عن القدرة « والله عليم بالظالمين » أي بهم وإيثار الاظهار
على الاخبار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون
ويدرون من الأمور التي من جعلتها ادعاء ما هم عنه بمعزل أي
والله عليم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون
منهم فيجازيهم على ذلك « قل ان الموت الذي تفرون منه » ولا
تجسرون على ان تمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم « فانه
ملاقيكم » أثبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه « ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة » الذي لا تخفى عليه خافية « فينبئكم بما كنتم
تعمنون » من الكفر والمعصي بأن يجازيكم بها وهذا ديدن الزائفين
و شأن المنحدين كما قل تعالى عن اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق » . وقد ورث هذه
الخصلة كثير من ينتمى الى الملة الاسلامية بل كل من الفرق
من يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقه الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي .

﴿دعوى محبة الله مع ترك شرعه﴾

﴿الثالثة والسبعون﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقلوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف ^(١) وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالفتم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولتد كفا على الاسلام . فقلت قريش يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

(١) الشنوف القطر الأعى أو ملاق في قوف الأذن أو معلق في علاها وإمام علق في أسفلها فخرط . حمه شريف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح نعبده حباً لله وتعظيمه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم . وبالجملة ان من تلبس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما أحسن قول القائل :

تمعى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنيههم على الله الاماني الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنيههم على الله تعالى الاماني الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى غريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن اسحاق وجماعة عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاه الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
 ابراهيم ودينه قلا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لها رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فهما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبنا
 عليه فأنزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
 بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحاكموا الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
 فجيء بالتوراة فوضع جرحهم بن صور يابده على آية الرجم فقال
 عبد الله بن سلام جوزها يا رسول الله فاظهرها فربحنا فغضبت
 اليهود فقتلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قلوا ان تمس النار إلا أياما
 معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
 هذا القول الذي رسخ اعتقادهم به وهو نوا به الخطوب ولم يبالوا
 معه بارتكاب المعصي والذنوب . والمراد بالأيام المعدودات أيام
 عبادتهم العجل « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرهم
 افتراؤهم وكذبهم أو الذي كانوا يفترونه من قوهم : ان تمس النار
 أو من قوهم : نحن أبناء الله وأحباؤه أو ما يشمل ذلك ونحوه
 من قوهم : ان أبناءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعده يعقوب
 ان لا يعذب أبناءه الا تحلة القسم فرد عليهم بقوله سبحانه « فكيف

إذا جمعناهم إلخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم إلى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علو الحسب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتائبين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ مسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وآله غديره وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأيتها بأرض الحبشة
يقال لها مارية وذكرتا من حسناتها وتصاوير فيها فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح
أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور
أولئك شرار المخلوق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذاقرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرَج » رواد أهل السنن الأربعة فهذا التحذير منه
واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل
الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على التحذر
عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم أن يكون من
هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة
من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا
الأمرين محرم ملعون فعنه بالاستغناء من السنة وليس هذا موضع
استقصاء ما في ذلك من سائر الأحاديث والآثار ولهذا كان
نسلف يبالغون في المنع

﴿تخاذ آثار الأنبياء مساجد﴾

﴿السادسة والسبعون﴾ : انخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فورثهم الجاهلون من هذه الامة قترامهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة جره الى الفلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالنقام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكثير الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي ما وضعه على الصخرة فآثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أما كن زعموا ان انخضر رؤي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعى الاسلام ان يتجنبها وينهى عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لأبأس بذكره قل شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكتهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه المشاهد وينسحب اليها ترى ذلك ؟ قال أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد إلا أن الناس قد افرضوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد التي بالمدينة وغيرها ينسحب اليها فقال أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصل في بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه روي يصب في موضع

ماء فمثل عن ذلك فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصب هنا ماء قل أما على هذا فلا بأس قل ورخص فيه ، ثم قال ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده رواها الخلال في كتاب الادب فقد فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كمو اضع بالمدينة بين القليل الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة . فانه قد روى البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة قل رأيت سالما بن عبد الله يتحرى أما كن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما رخص الامام أحمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في سننه قل حدثنا أبو معاوية قل حدثنا الاعمش عن المعمر بن سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر بألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يلاف قريش في الثانية فلما رجع من حجته رأى الناس يتدروا المسجد فقال ما هذا فقالوا مسجد حبي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال هكذا هناك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض
 فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبين
 ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم
 ويتخذونها كنائس وبيعاً . وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر
 ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها تخاف عمر الفتنة عليهم
 وما ذكره عمر هو الحري بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة
 غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور . دليل حرمة
 ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث
 الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد
 في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولاسيا في ليالي رمضان
 والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذ أعياداً اعلم ان العيد اسم لما
 يعود من الاجتماع العام على وجه معتد عتداً ما تعود السنة أو يعود
 الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عتد

أيوم الفطر و يوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجميع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مسلمو أهل العراق لكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الأسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الأيام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الأعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أي أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها وأمروا الله تعالى بخلافتهم والانحراف عما هم فيه والالتقياد بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً تعظيماً له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الأولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالاله الحق المعبود العالم فاذا قصد بالذبح غيره كان أولى بالمتنع . وصح نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن استأذنه بالذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أكان فيها صنم ؟ قل : لا . قل : فهل كان فيها عيد من أعياد المشركين ؟ قل : لا . قل له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود في سننه . وهذا السائل موحّد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء من ذلك أجازة . ولو علم شيئاً مما سئل عنه لمتعه صيانة لحي التوحيد وقضاً لنذريته بالشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قل « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قتلوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قل : مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قلوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقلوا للآخر قرب قل : ما كنت أقرب شيئاً لأحد دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » في هذا الحديث من التوائد كون التقرب دخل النار بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وإن كان مسلماً وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألقى صمعتك لما ذكروه وانظر الحق
فان الحق أبلج والباطل بلجج . فبالنظر التام الى ما كان عليه
المشركون من تقريهم لأوثانهم لتقريهم الى الله لكونهم شفعاء
لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء
الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

﴿الغمانون﴾ : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار
من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعث مكرمة
قريش فقال ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت
عروق ضالتها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلو بها
على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين ولا بدع من حكيم
ابن حزام القريشي الأسدي اذا مارد على من قال له : بعث
مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم : ذهبت المكارم
إلا التقوى كيف لا وقد كان عقلا سريافا فضلا تقيا سيداً بماله غنياً
أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام
ومعه مائة بدنة قد جلتها بالخبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف
بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منتوش فيها عتقاء
الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في السكبة

(الحادية والثمانون) : الفخر بالاحساب

(الثانية والثمانون) : الاستسقاء بالانواء

(الثالثة والثمانون) : الطعن في الانساب

(الرابعة والثمانون) : النباحة . أقول : هذه المسائل الاربع

دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ
مسلم بسنده الى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر
في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية
أو قل النأحة اذا لم تقب قبل موتها تقدم يوم القيامة وعليها سربال
من قطران ودرع من جرب « الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر
الآباء . والطعن في الانساب ادخالهم العيب في أنساب الناس
تحقيراً لا بائهم وتفضيلاً لا باء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء
بالنجوم اعتقادهم نزول المضر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر
وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء
كذا وقال تعالى « وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا
مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله في النأحة :
وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران
لانها كانت تلبس الثياب السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدننا تغطية الدرع وهو القميص لانها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الامة تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نغات فتراهم يفتخرون بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي الشيخ الفلاني وهذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك . وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من العترة الطاهرة وذلك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتقد كثير من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء . وهكذا النوح على الأموات فقد اتخذ كثير من الناس من أفضل الأعمال وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لاسيما من اتخذ المسآتم الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله السنة الأعلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك فانهم يوردونه موارد الخطب والمهلك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعبير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعبير الرجل بفعل غيره لاسيما

أبوه وأمه يخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بأمه ؟
 انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في
 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا
 بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك
 جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء » . وهذا الباب في كتاب الايمان من
 صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل
 عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه
 حلة فسألته عن ذلك فقال : اني سأيت رجلا فميرته بأمه فقال لي
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ
 فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن
 كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
 تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » وقد أظنبت شرح
 الحديث في شرحه وليس هذا موضع استقصائه . والمقصود منه
 أن تعبير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة .
 فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من
 المعرفة تساب هو وبلال اخبشي المؤذن فقال له : يا ابن السوداء
 فمد شكا بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل له
 « شتمت بلالا وعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال حسبت أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال :
لا أرفع خدي حتى يظأ بلال خدي بقدمه . والناس اليوم والأمر
لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم
بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

﴿ الافتخار بولاية البيت ﴾

﴿ السادسة والثمانون ﴾ : الافتخار بولاية البيت . قدمهم الله .
تعالى بقوله : « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية
في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً
تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي
تتلى عليكم لتعليل لقوله قبل « لا تجأروا اليوم انكم من لا
تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعم من ولا ينفعكم عندنا
فقد أدركتم أمراً عظيماً وإتماً كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا
يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون
عن سماعها أشد الأعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها .
والنكوص : الرجوع . والأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر الرجل
ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقته الأول كما يقال :
رجع عوده على بذيته « مستكبرين به » أي بالبيت الحرام ، والباء

للسببية وسوغ بهذا الاضرار مع أنه لم يجز ذكر اشتهار استكبارهم
 واقتضارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسرون بذكر
 القرآن والطنن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسرون
 وكانت عمة سمرم ذكر القرآن وتسميته سحرأً وشعراً « ونهجرون »
 من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والترك والجملة في موضع الحال
 أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
 تقدير عود ضربه له وجاء الهجر بمعنى الهذيان وجوز أن يكون
 المعنى عليه أي تهديون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم أو أصحابه أو ما يعم جميع ذلك ويجوز أن يكون من الهجر
 بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله :
 « أفلم يدبروا القول » ليعلموا بما فيه من وجود الإعجاز انه الحق
 من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل
 جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب
 الرياسة على المواضع المقدسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى
 الشرف بسبب ذلك . فتمهم من ادعى الشرف على المسلمين
 بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في
 المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انتسابهم إلى
 عبد القادر الجيلي في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبايح والقرايين
الشركية التي يتعبد بها جولة المسلمين من الهنود والأكراد
ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلماً
فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه
وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده الصالحين
أحق من الذر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء
عليهم السلام . فردّ الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه
الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك
أمة قد خلت » الإشارة الى ابراهيم عليه السلام وأولاده في قوله
« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أمت لمعان
والمراد بها هنا الجماعة من أم بمعنى قصد ومميت كل جماعة يجمعهم
أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم
يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . والخلو : المضي ، وأصله الانفراد لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم ، والمعنى أن اقتسابكم اليهم لا يوجب
 انتفاعكم بأعمالهم وإنما تلتفتون بمواقفهم واتباعهم كما قال صلى الله
 تعالى عليه وسلم : « يا معشر قريش ان أولى الناس بالنبي المتقون ،
 فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقاني الناس يحملون الأعمال
 وتلقوني بالدنيا فأصدهم عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله
 تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
 شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
 ومعنى قوله « ولا تسألون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسبائهم
 كما لا تشابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير
 من المسلمين ورأس مالهـم الافتخار بالآباء : فمنهم من يقول : أنا
 من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد
 الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكري ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم
 من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى
 وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله
 بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة
 « يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا » وما قصد أولئك
 المفتخرين بأبائهم وهم عارون عن كل فضيلة إلا أن كل أموال
 الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصاميا ولا تكن عظاميا)
 ان الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبى

والله دوت من قال يردُّ على المفتخر بمثل ذلك :
 أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
 أتقنع بالعظام وأنت تدرى بأن الكلب يقنع بالعظام
 وقال آخر :
 وما الفخر بالعظم الرميم وإنما نخار الذي ينبغي الفخار بنفسه

﴿ الافتخار بالصنائع ﴾

﴿ الثامنة واثنانون ﴾ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل
 الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن
 ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك
 في سورة الايلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر
 بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة
 أخرى فان كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى
 عبادة الله وطاعته وامتنال أواخره واجتناب نواحيه ليتوصل
 بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأماما سوى ذلك فكله
 ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف
 الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل
 الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

﴿التاسعة والثمانون﴾ : عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «فولاً أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أي من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا «ولاً أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أي هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورقمنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقلوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف . قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة الخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وكل منهما كان عظيماً ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيرة يسمى ربحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقاً أنزل على أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للنسوة وذلك أنهم أنكروا أولاً أن يكون النبي بشراً ثم تكلموا بشكركم الحجة والميق عندكم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكموا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به رجل من القرينين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما تستدعى عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتخلي بالكلمات والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فأنكر سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ، ولم نفوض أمرها إليهم علماً منا بمعجزهم عن تدبيرها بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض» في الرزق وسائر مبادئ المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسباً تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وغنى وفقير وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم ويستخدمهم في مناهجهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مرافقتهم لالكمال في الموسع عليه ولا ينقص في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف التمام بهذه الحالة ففاظتهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط الصيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى « نحن قسمنا » الخ ما يزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانتقطاع إليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تلقه حقا وبالحق نزل
 «ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدين الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الذي الفاني . وأنت تعلم أن كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لا يعتبرون العلم إذا كان صاحبه فقير الحال وينظرون إلى الغني ويعتبرون أقواله ، والله درّ من قل (١) :

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَسْئَلَةِ لَوْ جَهْلُ غَطَى عَلَيْهِ النِّعَمَ

﴿ازدراء الفقراء﴾

﴿التسعون﴾ : ازدراء الفقراء فنزل سبحانه قوله «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . وشهيرا رب

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلمهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلمهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدى الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملاء من قريش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضىت هؤلاء من قومك أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن تتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن « وأنذر به الذين » الى قوله سبحانه « فتكون من الظالمين » . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقى في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حواله حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا نحب أن نجعل لنا منك مجلساً
تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وقود العرب تأتيك فنتسحق أن
ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبد فإذا نحن جئناك فاقهم عت فإذا نحن
فرغنا فاقعدهمهم ان شئت قل نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتاباً
فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية إذ نزل
جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين الحق » ثم دعا فأتيناه وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل الله تعالى : واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً فكان رسول الله ﷺ يقعد معن
فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قعدوا تركناه حتى يقوم . وأخرج ابن
المنذر وغيره عن عكرمة بن موشى عتبة وشيبة ابني ربيعة وقرظة
ابن عبيد عمرو بن نوفل والخرث بن عامر بن نوفل ومضمر بن
عدي في أشرف الكفار من عبد مناف أني أبي طالب قتلوا :
وإن ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبد والخلفاء كان أعظم له في
صديقنا إذ أطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقه فذكر
ذلك أبو طالب لنبى ﷺ فقتل عمر بن الخطاب نوفست يا رسول
الله حتى تنظر ما يريدون بقولهم وما يصبرون اليه من أمرهم فنزل

الله سبحانه » وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه » أليس الله بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالم مولى حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والخلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمر بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالى والخلفاء » وكذلك فتننا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته فانزل الله تعالى » واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله » ماعليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرد المتقين من أقويى الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا » ماتراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » والمعنى ماعليك شيء ما من حساب آيائهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ماتراه من الأحكام وانما وظيفتك حساباً هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء لأحكام على موجبها ، وتقويض البواطن وحسابها الى اللطيف الخبير ، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالفداء والعشى . وروى عن ابن زيد ان المعنى ماعليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم والمراد لا يضرك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أراه انشركون منك فيهم وقوله » وما من حسابك عليهم من شيء » عطف

على ما قبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه ^{سجلته} عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال الزمخشري ان الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدي مؤدى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحسب صاحبه وحينئذ لا بد من الجملتين وتعمق بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهي

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه ورسله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب اخديث والعقائد والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وورني لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلي في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقلب قلب يدور	من الشيزى تزين بالسدم
وماذا بالقلب قلب يدور	من القينث والشرب انكرام
نحيينا السلامة أم بكر	فهل في بعد قومي من سلام
يحدث الرسول بأن منحيها	وكيف حية اصداء وهم

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشء حديث خرافة يأ أم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى « وقالوا إذا متنا
وكنا ترابا وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » وقد تكلمنا
على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع
« إيمانهم بالجبت والطاغوت »

« الثانية والتسعون » : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل
دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى « ألم تر إلى الذين أوتوا
نصيياً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » وقد تقدم الكلام
على ذلك مفصلاً . والمقصود هنا أن جملة الكتائين كانوا
يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما
عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج
يقولون إن دعة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من
أهل التوحيد وحفاظ السنة

« كتمان الحق مع العلم به »

« الثالثة والتسعون » : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أخبار بني إسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتبوا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكرها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فإنه كتاب لم يؤلف مثله ﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿الرابعة والتسعون﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأوتوا نصوص الشريعة بما تهووا أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجزى الله شيخ الاسلام خيراً فقد ردّ عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهله وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿الخامسة والتسعون﴾ : التناقض أوضح قال تعالى : بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج» وهكذا أهل البدع من المغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالاً تنقض ما هم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة﴾ : العياقة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أوابدهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا



وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الاسلام . والحمد لله وفي الانعم . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في هذي اخجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ

فهرس

﴿مسائل الجاهلية﴾

المسألة

اهداء الكتاب	٣
مقدمة الناشر	٤
خطبة الكتاب	٩
دعاء الصالحين	١ ١١
التفرق	٢ ١١
مخالفة ولي الأمر	٣ ١٢
التقليد	٤ ١٣
الاقتداء بالعالم الفاسق أو العالم الجاهل	٥ ١٤
الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل	٦ ١٥
الاحتجاج على الحق بقلة أهله	٧ ١٦
الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً	٨ ١٧
انخداع أهل القوة وأخيلة بقوتهم وحيلتهم	٩ ١٨
انخداع أهل الثروة بثروتهم	١٠ ٢٠

المسألة	الصفحة
الاستخفاف بالحق لضعف أهله	٢٣ ١١
وصم أنصار الحق بما ليس فيهم	٢٤ ١٢
التكبر عن نصره الحق لأن أنصاره ضعفاء	٢٥ ١٣
استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً	٢٦ ١٤
جبهلهم بالجامع والفارق	٢٦ ١٥
الغلو في الصالحين	٢٩ ١٦
الاعتذار بعدم الفهم	٣٠ ١٧
انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم	٣٢ ١٨
التمسك بخرافات السحر	٣٣ ١٩
التناقض في الانتساب	٣٤ ٢٠
صرف النصوص عن مدلولاتها	٣٤ ٢١
تحريف كتب الدين	٣٤ ٢٢
الإنصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها	٣٥ ٢٣
كفرهم بما مع غيرهم من الحق	٣٥ ٢٤
ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها	٣٦ ٢٥
انكار ما أقرؤا أنه من دينهم	٣٧ ٢٦
المجاهرة بكشف العورات	٣٨ ٢٧
التعبد بتحريم الحلال	٤٠ ٢٨

المصنف المائة

الاحاد في أسماء الله وصفاته	٢٩	٤٣
نسبة النقااص الى الله	٣٠	٤٦
تنزيههم المخلوق عما نسبوه الى المخلوق	٣١	٥٠
قولهم بالتعطيل	٣٣	٥١
الشركة في الملك	٣٣	٥١
انكار النبوات	٣٤	٥٢
جحدوهم القدر واحتجاجهم به على الله	٣٥	٥٣
مسبة المذموم	٣٦	٦٠
اضافة نعم الله الى غيره	٣٧	٦٢
الكفر بآيات الله	٣٨	٦٤
اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله	٣٩	٦٥
القدح في حكمة الله	٤٠	٦٦
الكفر باللائكة والرسل والتفريق بينهم	٤١	٧٠
الغلو في الأنبياء والرسل	٤٢	٧٢
اجتهال بغير علم	٤٣	٧٢
الكلام في الدين بلا علم	٤٤	٧٣
الكفر باليوم الآخر	٤٥	٧٥
التكذيب بآية ماثلة يوم الدين	٤٦	٧٥

الصفحة	للمادة
٧٦	٤٧
٧٦	٤٨
٧٧	٤٩
٨٨	٥٠
٩٠	٥١
٩٠	٥٢
٩١	٥٣
٩٢	٥٤
٩٤	٥٥
٩٨	٥٦
٩٩	٥٧
١٠٠	٥٨
١٠٠	٥٩
١٠١	٦٠
١٠١	٦١
١٠٥	٦٢
١٠٦	٦٣
١٠٦	٦٤

المصفاة	المسالة
١٠٧	٦٥ تعبدهم بترك الطيبات من الرزق
١٠٨	٦٦ تعبدهم بالمكاء والتصدية
١١٠	٦٧ النفاق في العقيدة
١١٠	٦٨ دعاؤهم الى الضلال بغير علم
١١٠	٦٩ دعاؤهم الى الكفر مع العلم
١١٠	٧٠ المكر الكبار
١١١	٧١ حالة علمائهم
١١٢	٧٢ زعمهم أنهم هم أولياء الله
١١٥	٧٣ دعوى محبة الله مع ترك شرعه
١١٦	٧٤ تمنيههم على الله الأمانى الكاذبة.
١١٨	٧٥ اتخاذ قبور الصالحين مساجد.
١٢٠	٧٦ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد
١٢٣	٧٧ اتخاذ السرج على القبور.
١٢٣	٧٨ اتخاذ القبور أعياداً
١٢٤	٧٩ الذبح عند القبور
١٢٦	٨٠ التبرك بآثار المعظمين
١٢٧	٨١ الفخر بالأحساب
١٢٧	٨٢ الاستسقاء بالأأنواء.

المفحة للآلة

الطعن في الانساب	٨٣	١٢٧
النياحة	٨٤	١٢٧
تغيير الرجل بفعل أمه وأبيه	٨٥	١٢٨
الافتخار بولاية البيت	٨٦	١٣٠
الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء	٨٧	١٣٢
الافتخار بالصنائع	٨٨	١٣٤
عظمة الدنيا في قلوبهم	٨٩	١٣٥
ازدراء الفقراء	٩٠	١٣٧
انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث	٩١	١٤١
اعتابهم بالجبت والطاغوت (وانظر ص ٨٨)	٩٢	١٤٢
كتمان الحق مع العلم به	٩٣	١٤٢
التقول على الله بلا علم	٩٤	١٤٣
التناقض	٩٥	١٤٣
الهيافة	٩٦	١٤٤
الطرق	٩٧	١٤٤
الطيرة	٩٨	١٤٤
الكهانة	٩٩	١٤٤
التحذير الى الطاغوت	١٠٠	١٤٤



الحكمة بليغة

مجموعة أدبٍ بارعٍ ، وحكمةٍ بليغةٍ ، وتهذيبٍ قوميٍّ

تأليف

سحب التسمية للطبيب

منشي مجازي (الزهره) و (النج)

ثمانية أجزاء — ٢٣٠٠ صفحة

لطفة الحجم ، جميلة الطبع

ثمنها ٤٠ قرشاً

تطلب من

المطبعة السليمانية - مكتبة

بشارع الاستئناف - بالقاهرة

خزانة الأديب

أتمت المطبعة السلفية طبع الجزء الاول من هذا الكتاب
المعظم ، فجاء في ٤٣٥ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً
بجروف بهيئة . واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنقيطي
الكبير المنقولة من خط المؤلف ، وحليناه بتصحيحات العلامة
الجليل صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وتصحيحات
وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوني
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الاسلامية في الهند
فجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الايام
قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة فروش مقدماً
وعند تسليم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه

To: www.al-mostafa.com